# ماهي العروبة ؟

بقلم الدكتور علي عيسى عثمان

دراسة الحضارات ، ولا سيما الكبيرة منها ، هي من اصعب ما يعالجه الباحث . فهذا النوع من الدراسات مليء بالقضايا المنهجية التي لا تزال موضوع مناقشات جدية وطويلة . ليس هذا هو مجال عرضها . والذي نريد ان نؤكده في هذه المناسبة يتعلق بقضية منهجية في دراسة العربي للعروبة .

فاشد القضايا المنهجية خطورة على نتائج البحث الذي يتناول حضارة ما او ناحية منها ، لا تتعلق بالطريقة او بالاسلوب العلمي الذي يرتضيه الباحث ويؤمن بنتائجه بقدر ما يتعلق بالقوالب الفكرية والمفاهيم التي تتكون منها عقلية الباحث ، وبقدر ما يتعلق باتجاهاته واهوائه النفسية. ومن الممكن جدا ان ترضي دراسة ما كل ظواهر الطريقة العلمية — فهذا شيء سهل نسبيا — ولكن ليس من الضروري ان ترضي هذه الدراسة نفسها متطلبات المنهج السليم الذي يطمئن الى نتائجه .

وبمعنى اخر، ان الباحث نفسه هو اكبر القضايا المنهجية في سلامة دراسة تتعلق بحضارة او بناحية منها. فكيف يرى الباحث الحقائق المتعلقة بدراسته ، وكيف يحكم على اهميتها وثقلها في نتائجه ، وبأي نظام فكري يربط بين الحقائق المختلفة ، وبأي المفاهيم تتوضح له المعالم الكبرى لما يدرسه — هذه الاسئلة هي من اهم القضايا في سلامة منهجه ، وبالتالي في سلامة نتائجه .

وتتعلق هذه الاسئلة « بعقلية » الباحث ، اما ما يتعلق باهوائه وبما يريده من وراء دراسته ، فتدق هنا الاسئلة ويصعب تحديدها ولا سيما في حالة الباحث الذي اتقن ارضاء متطلبات الطريقة العلمية في بحثه .

فالموضوعية في دراسة الحضارة ليست في ظاهر الطريقة من استقصاء الحقائق وتوثيقها والربط بينها باتباع منطق ما في التوصل الى نتائج ( وان كانت هذه قضايا مهمة في سلامة المنهج ) ، لكن الموضوعية هي غاية يحققها الباحث بقدر ما يستطيع ان يدرك تدخل «عقليته» و « اغراضه » في عملية بحثه ، وبقدر ما يستطيع ان يحرر دراسته من هذا التدخل نتيجة ادراكه هذا .

ان الباحث الغربي مثلا ، ليكون موضوعيا في دراسة حضارة غير حضارته ، عليه ان يدرك اثر قيمه ومفاهيمه الغربية في رؤية الحضارة الاخرى ، وعليه ان يدرك اثر اهوائه في دراسته ، وعليه ان « يعيش » نفسيا وعقليا في الحضارة الاخرى — هذا بالاضافة الى كفاءته العلمية — ان اراد ان يتوصل الى درجة مقبولة في الموضوعية . وكذلك المسلم الذي يدرس المسيحية ، او المسيحي الذي يدرس الاسلام ، وكذلك حال اي باحث ينوي دراسة حضارة او جماعة هو ليس منها .

ومتى ادرك القارىء طبيعة العقلية وطبيعة الاغراض التي هي من وراء بحث ما يتعلق بحضارة او بناحية منها، استطاع ان يدرك درجة الموضوعية في ذلك البحث . ومتى ادركنا ذلك فقد نقرأ بحثا لفلان او لغيره تكمن وراء دراسته عقلية معينة واغراض معينة ، نقرأ له لا لقيمة الدراسة في نفسها ، بل لانها تعبر عن وجهة نظر معينة من المهم ان نتعرف عليها . وفي هذه الحال تكون وجهة النظر التي تنعكس في تلك الدراسة هي الحافز على اهتمامنا بالدراسة وليست الدراسة نفسها .

فتحرر الباحث من « عقلية » معينة تعكس مفاهيم حضارة معينة والتحرر من النفس بادراك ما ترغب فيه تلك النفس من نتائج قبل البحث اولا ، والدراسة الطويلة ومعرفة القضايا المنهجية والخبرة البشرية الواسعة في فهم الانسان وحضاراته المختلفة ثانيا ، كل هذه صفات لا بد من توفرها في من يعتزم دراسة حضارة ما .

***

اما بالنسبة للعروبة فطبيعتها تفرض على الباحث بالاضافة الى هذه الصفات ، السيطرة على « ادوات للبحث » يصعب على انسان واحد ان يملكها كلها. فالعروبة تمتد الى ابعاد التاريخ ، دخل فيها لغات كثيرة وشعوب كثيرة وبلاد كثيرة ، ودخل فيها حضارات كثيرة ، ونشر عنها دراسات كثيرة . هذه الكثرة من اللغات والشعوب المتلاصقة واتساع نطاق العروبة الجغرافي على مدى التاريخ وامتزاج العروبة بغيرها ، وما انتجته العروبة في الميادين الفكرية على مدى التاريخ ايضا ، وكل البحوث الجدية المتعلقة بها هي « ادوات » الباحث الجدي الذي لا يستطيع ان يستغني عنها في دراسة العروبة .

ومن هنا كان سر صعوبتنا في هذا العصر الذي يفرض علينا ادراك ماهية العروبة ، ان ندرسها دراسة وافية واضحة موضوعية . ومن هنا استطاعت وجهات نظر ضيقة ان تقتطع من تاريخنا هذا كله ما يرضي اغراضها ، ثم تدعي اصولها في مجال ضيق من تاريخنا هذا في محاولتها ان تنعزل عن التيار الاكبر الذي تمثله العروبة .

وتزداد صعوبتنا في ادراك ماهية العروبة أن ادركنا اننا نحن العرب لا نزال ننظر الى العروبة في ابحاثنا ودراساتنا من زوايا فكرية ومفاهيم نمت وتطورت في الحضارة الغربية . فنقحم عليها هذه « العقلية » وتلك المفاهيم التي اكتسبناها ، وربما يكون الاختلاف في نتائج دراساتنا من نتائج دراسات غيرنا مرده الاختلاف في النية ، ولا يكفي هذا للتوصل الى ادراك صحيح واضح في ماهية العروبة .

فمنا من حجبته مفاهيم « القومية » الحديثة فرأى العروبة بمنظارها ، واكد التاريخ المشترك واللغة الواحدة والجغرافية الواحدة ودين الاكثرية واكد ضرورة الوحدة السياسية والاقتصادية ، اكد هذه العناصر وغيرها وظن انها هي كل العروبة وكل ما تتضمنه عبارة « انا عربي » .

ومنا من حجبته مفاهيم ايديولوجية معينة فرأى العروبة بمنظار تلك المفاهيم ، واكد لنا ان مصيرنا متوقف على تسيير انظمتنا السياسية والاقتصادية ، لا وبل الخلقية والاجتماعية ، نحو ما ينسجم مع تلك المفاهيم .

ومنا من حجبته قرابة دينية بالغرب فرأى ان العروبة وهم علق بجماعته ففتش في تاريخ العروبة الكبير عن مصدر ليرضي اعتزازه بنفسه وبجماعته واكد للجماعة ان خيرها متوقف على درجة التحرر من العروبة ومن كل دعاء يحملها ، كاللغة وغيرها .

ومنا من السذج من اطلع على كثير او قليل من دراسات الغربيين عن العرب ، ولتطلع في نفسه اخذ من هذه الدراسات ما يرضي الغربيين ، ومن هؤلاء من اشتهر بين الغربيين كباحث « لا تغلب عليه العاطفة ، وتغلب عليه الموضوعية ! » .

كل هؤلاء وغيرهم ممن احسنوا او اساؤوا النية لم يدركوا — ولم يريدوا ان يدركوا — اثر مفاهيمهم الضيقة او اثر اهوائهم في نتائج دراساتهم .

ولكن هل يعني هذا انه على الباحث العربي ان يتجرد من «عقليته» واغراضه لنطمئن الى نتائج دراساته ؟ لا ، بل بالعكس ، عليه ان « يعيش » في العروبة على مدى الاف السنين وان يدرك اثر مفاهيمه الغربية في هذه المحاولة وان يستنبط من طبيعة العروبة نفسها القيم والمفاهيم التي يسترشد بها في منهجه . او بمعنى اخر يجب ان يستمد المنهج السليم في دراسة العروبة من طبيعة العروبة نفسها وليس من تجارب امم اخرى يقحمها على العروبة لقصر في نظره او لغرض في نفسه . ولا شك انه يجب ان يستفيد من تجارب الامم الاخرى ومن المدارس الفكرية المختلفة — ولكن لتعينه على الرؤية وليس لتكون « ادوات » بحثه الفكرية .

فدراسة العروبة — حتى للغربي المؤمن بها — لا شك من اصعب الدراسات التي يمكن ان يواجهها باحث ، اذ تضم في بطونها تجارب طويلة في محاولات الانسان البدائي نحو الحضارة والتمدن ، وتضم تجاربه في فهمه لنفسه ولخالقه وللطبيعة التي تحيط به ، وتضم شعوبا كثيرة ولغات كثيرة وامتزاج حضارات كثيرة ومتواصلة .

وفي هذا التيار التاريخي الكبير ما عسى ان تكون العروبة ؟ فالعروبة اوسع بكثير من ان ترى بمنظار «القومية» ، واوسع بكثير من ان ترى بمنظار « ايديولوجية » معينة .

ثم ما الذي يعرضه الباحث للقارىء ؟ هل يعرض تفاصيل تاريخ طويل لا حصر لها فتضيع المعالم في التفاصيل ؟ من الضروري ان يلم الباحث بالتفاصيل ليتوصل الى تحديد الخطوط العريضة التي منها قد يشخص العروبة ، فمهمته ليست في سرد التفاصيل ولكن في استخراج المعالم الكبرى منها .

***

اشرنا الى هذه القضايا المنهجية لنقدم للقارىء العربي الجزء الاول من كتاب اعتزم الدكتور راجي الفاروقي ان يخرجه في اربعة اجزاء يدرس فيه العروبة . وكلنا يقبل على الابحاث المتعلقة بالعروبة بلهفة شديدة لكثرة ما في اذهاننا من اسئلة ، ولشدة رغبتنا في التوصل الى مفهوم عام واضح لها يضع حدا للبلبلة حولها ويضع فلسفة تجمعنا جميعا مع تعدد الجماعات المختلفة داخل اطارها .

واقبلت على هذا الجزء بهذه الروح راجيا ان يرضي في ما اتوقعه ، ومتخوفا من ان لا يرضي القضايا المنهجية التي اشرت اليها . وعندما فرغت من قراءته وددت لو اطلع عليه كل عربي جاد مهما كانت نزعته ومهما كانت نظرته في الحياة ، وتعجبت كثيرا ان هذا الجزء لم يحدث بعد ضجة كبيرة في العالم العربي * .

والكتاب من اربعة اجزاء كلها عن العروبة . فالاول منها وهو الذي نقدمه للقارىء يبحث في «العروبة والدين» ، والثاني في « العروبة والفن » ، والثالث في « العروبة والمجتمع » ، والرابع في « العروبة والانسان » .

وصل الينا الجزء الاول . كتبه الدكتور الفاروقي بالانكليزية ونشره في امستردام في هولندا ١٩٦٢ .

ولا يمكن عرض هذا الجزء عرضا وافيا يغني القارىء عن قراءته . ومهمة هذه الكلمات هي تشويق القارىء العربي لقراءة ودراسة هذا الجزء — وما يليه من اجزاء .

ذهب الدكتور الفاروقي الى ابعاد التاريخ ليحدد خصائص العروبة ، وسار مع هذه الخصائص في نموها وفي تطورها وتداولها بين الشعوب العربية المتتالية فجعل يفتش عن فحوى العروبة في كل مرحلة من مراحل نموها ليحدد معالم التيار الكبير وثورات الشعوب العربية له ونموه خطوة خطوة على ايدي كل منها من اشوريين وفنيقيين واراميين وكنعانيين وعبرانيين وغيرهم من الشعوب العربية حتى وصل الى عرب الجزيرة . وفي هذا كله يسير القارىء مع الدكتور الفاروقي ويحس بسيطرته الكاملة على موضوعه ويحس بعروبته الصادقة

* عزمت « دار الاداب » على تقديم ترجمة كاملة لهذا الكتاب الخطير في وقت قريب ( ملاحظة التحرير ) .

العميقة القوية لا تتأتى للانسان بمجرد الاعتزاز بالعروبة بل بالادراك العميق لطبيعتها في تيار التاريخ البشري .

وفي متابعته لخصائص العروبة ، وجد الدكتور الفاروقي ان العروبة مجموعة من القيم العليا اشتركت في اكتشافها وتنميتها جميع الشعوب العربية المتعاقبة . ووجد ان هذه القيم انتشرت عن طريق اهلها الى شعوب اخرى اصبحت تدين بها مع مرور الزمن وتؤكدها وتشترك في نشرها وتعميمها .

فالعروبة كما وصلت الينا لا تقتصر على الناطقين بالضاد ، ولا تقتصر على عنصر بشري معين ، ولا على حدود سياسية تضم البلاد العربية فقط وانما تضم العروبة كل من تأثر واثر في مجموعة القيم التي ولدها ونماها التيار العربي منذ فجر التاريخ . والعرب وان كانوا مركز هذا التيار الا ان العروبة كانت ولا تزال اوسع من الناطقين بالعربية . يدل هذا على ان الدكتور الفاروقي تحرر من المفاهيم الغربية التي اكتسبها كغيره من المثقفين العرب وذهب الى ابعد ما يمكن ان يذهب اليه باحث في متابعة العروبة منذ نشأتها الأولى ليستخرج منها فحواها وخصائصها ومدى انتشارها .

وفي متابعته للعروبة تبين له انها افصحت عن طبيعتها وخصائصها في ذروات ثلاث ، ازدادت مجموعة القيم التي تتميز بها العروبة في كل ذروة من الذروات جلاء ووضوحا وشمولا ، حتى بلغت عالمية هذه القيم اكتمالها وكمالها في الاسلام ، أي في الذروة الثالثة .

وتمثل هذه الذروات الثلاث اتصال العروبة بالالوهية . والاتصال بالالوهية يمثل مفهوما للانسان لنفسه وما ينطوي عليه هذا المفهوم من قيم وواجبات نحو نفسه ونحو غيره ، ويمثل هذا الاتصال مفهوما للانسان لما حوله من الطبيعة وما ينطوي عليه هذا المفهوم من تفسير لظواهرها ومن علاقات بها ، ويمثل هذا الاتصال ايضا مفهوما للانسان لخالق الوجود وما تنطوي عليه طبيعة هذا المفهوم من غايات متوقعة من الانسان ومن تربية تنسجم مع تحقيق هذه الغايات .

فالانسان والطبيعة ( الوجود ) والله هي المحاور الثلاثة التي حولها نشأت ونمت مجموعة القيم التي توجهت بها العروبة على مدى التاريخ وتوضحت بها معالمها .

اما الذروة الاولى فكانت عند اتصال بني اسرائيل بالالوهية ، مهد لها غيرهم من الشعوب العربية ، وغلبت قبلية اليهود على عالمية القيم التي جاء بها انبياء ورسل بني اسرائيل ، فكانت النتيجة انعزال اليهود عن التيار العربي الكبير الذي ظل يحمل لواءه « الحنيفيون » من العرب حتى جاءت مرحلة الذروة الثانية بمجيء المسيحية. فلقد كان من الضروري تأكيد عالمية القيم العربية ، فكان من الضروري مجيء المسيحية .

وفي بحثه للمسيحية في تيار العروبة يبين الدكتور الفاروقي الفروق الجوهرية بين المسيحية العربية وبين المسيحية الغربية . ويرد هذه الفروق الى الفروق الجوهرية بين « العقلية » العربية وبين « العقلية » الغربية.

فالمسيحية العربية في الاجيال الاولى للمسيحية اعتمدت على العقل في توضيح وتفسير قيمها وعقائدها ، بينما حاربت المسيحية الغربية حينئذ العقل حربا عنيفة وحاربت كل ثمرة من ثمرات العقل كالعلم والتعليم ، فاحرقت الكتب في الساحات العامة واضطهدت العلماء ووضعتهم في مصاف الشياطين .

وكذلك لم تقبل العروبة الشخصية التي طورتها المسيحية الغربية عندئذ بالنسبة للسيد المسيح ، ذلك لان العروبة كانت قد وصلت الى درجة من العقلانية لم تسمح لها بان تقبل ذلك .

اما الذروة الثالثة التي اكتملت فيها العروبة ووصلت مجموعة القيم التي تعبر عنها الى كمالها وكمال عالميتها فكانت بالاسلام .

ويحدد الباحث ما الذي يميز الاسلام عما سبقه من الذروات في بحث طويل بالمقارنة ، ونكتفي هنا بتعداد اهم هذه الميزات .

فالاسلام هو علاقة مباشرة بين الانسان والله ولا يكون اسلاما الا اذا كان اسلاما من الانسان طوعا منه لله وحده . وبذلك تحرر الانسان كلية من كل سلطة غير سلطان الله .

وسلطان الله هذا يدركه الانسان بالعلم والمعرفة فوجب على الانسان لتحقيق اسلامه ان يسعى وراء العلم والمعرفة . ووجب عليه ايضا ان يتخذ من العقل اداته في هذا السعي .

والاسلام كل لا يتجزأ ومجموعة القيم التي يمثلها كل مترابط ترابطا عضويا . فالانسان كل وسلوكه كل متجانس ، فقيمه كمواطن لا تتناقض مع قيمه كانسان ، والناس عند المسلم كل ، فلا يميز بينهم لون او عنصر او غيرها ، والطبيعة كل تفهم وتفسر بمبدأ التوحيد بالخالق.


## اخر منشورات دار الاداب

| | | | ق. ل |
|---|---|---|---|
| ● | اعياد | ( قصص ) لعبد الله نيازي | ٢٥٠ |
| ● | لا بحر في بيروت | « لغادة السمان | ٢٥٠ |
| ● | الظمأ والينبوع | « لفاضل السباعي | ٢٥٠ |
| ● | حتى يبقى العشب اخضر | لاديب نحوي | ٢٠٠ |
| ● | ثورة الفقراء | لرجاء النقاش | ٢٠٠ |
| ● | سلطنة الظلام في مسقط وعمان | لعوني مصطفى | ١٥٠ |
| ● | كامو والتمرد | ترجمة سهيل ادريس | ١٥٠ |
| ● | قصص كامو | ترجمة عايدة ادريس | ٤٠٠ |

والاسلام سلوك النية وسلوك العمل الصالح معـــا ، كلاهما يؤكد الاخر ويوضحه في تجارب الفرد .

ويبحث الدكتور الفاروقـي مميزات اخرى تبـــين عالمية العروبة وكمالها بالاسلام . ولكنه يحذرنا ان لا يختلط علينا الامر فنحسب ان العروبة هي الاسلام او ان الاسلام هو العروبة .

العروبة قديمة قدم التاريخ عبرت عن بعض فحواها الحركات الدينية والفكرية المتتالية ، وازداد هذا الفحوى وضوحا وجلاء ، وتهيأ به الجـــو الملائم لمجـيء الاسلام . فالاسلام ثمرة من ثمار العروبة ، كما كان غيره في المراحل السابقة ثمرة من ثمارها .

العروبة هي الروح التي كانت واستمرت وراء هـذه الثمرات كلها . نستطيع ان نحدد معالم كل ثمرة منهـــا ودرجة وضوح وتكامل القيم فيها ، ولكن هـــذا التحديد ـ وان كان دليلا علـــى طبيعة روح العروبة ـ الا انـه لا يحددها هي ، فهي المصدر الذي تنبع منه حركات تاريخية معينة تكون كل حركة منها دليلا اضافيا على طبيعة هـذا المصدر . ولكن هذا المصدر نفسه تمتد ابعاده من فجـــر التاريخ الى المستقبل البعيد .

فالعروبة ملك لجميع العرب مهمـــا تعددت اديانهم وفئاتهم وما هذا التعدد الا تعابير مختلفة لروح واحـــدة هي العروبة .

العروبة اذن هي الروح التي صدرت عنهـا مجموعة من القيم الانسانية التي مـــا زالت تتسع انتشارا حتـى صارت عالمية وصار الانسان اينما كان غايتها ، والتي مـــا زالت تزداد جلاء ووضوحا حتـــى بلغت درجة التكامـل والكمال بالنسبة للانسان في هذا العالم .

فالعروبة كانت وما زالت رسالة عالمية ، وفعالية هذه الرسالة تتوقف الى درجة كبيرة على فعالية العرب فـــي ادائها . وفعالية العرب تتوقف على درجة تحملهم لهـــذه الرسالة ، وهذا يتوقف على درجة تحررهم مـن رواسب الضعف التي علقت بهم في القرون الاخيرة وعلـــى درجة ادراكهم لروح العروبة التي يسيرون في تيارها ويسيرونه.

فتجمع العرب روحيا وفكريا حـــول روح العروبة وحول ما تنطوي عليه من رسالة عالمية ، هو الاساس فـي تجمعنا الخلقي والسياسي . وهو الاساس فـــي فعاليـة العرب ليس تجاه قضاياهم المحلية فقط وانما تجـاه مصير العالم بأسره ايضا . وهو الاساس في تربية النفس القوية التي بها يتبدل ما بالامم .

فان كانت الوحدة العربية ضرورية لمناعـــة العرب بالنسبة لغيرهم ، فهي اكثر ضرورة بالنسبة لفاعيلتهم فـي نشر وتأكيد القيم التي من اجلها نشأت العروبة ونمت على مـدى التاريخ .

**علي عثمان**


# بيروت ولبنان في عهد آل عثمان

بقلم

يوسف الحكيم

امتياز لبنان الاداري والحكام الذين تعاقبوا عليه . حياة اللبنانين في ميداني السياسة والاجتماع حتى الحرب العالمية الأولى . حوادث الارهاب التي قام بها جمال باشا . ادارة المتصرفين الذين بعثت بهم الدولة العثمانية اثناء الحرب المذكورة . جلاء العثمانيين عن لبنان وسورية واستقلال كل منهما .

يُطلب من المكتبة الشرقية - ساحة النجمة - بيروت